ابن عُنَيْن

شاعر القرن السابع

هو محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عُنين الأنصاري ، وعنين بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، كنيته ابو المحاسن ولقبه شرف الدين . أصله من الكوفة وولد في دمشق ومات فيها (٥٤٩ — ٦٣٠ هـ)

تأدب ابن عنين بأدب عصره واخذ عن مشايخ بلده ما تيسر له أخذه . اشتغل في دمشق بالفقه على القطب النيسابوري والكمال الشهرزوري ، وقرأ الأدب على أبي الثناء محمود بن رسلان وسمع ببغداد من منوجهر بن تركانشاه راوي مقامات الحريري ، وعني كثيراً باللغة حتى عدَّ من علمائها في عصره ، وكان يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد وقد اختصره ، وكتب في النثر تاريخ العزيزي ، وقد فقد كلا التأليفين .

وجاء من ابن عنين شاعر مطبوع يجول في اكثر اغراض الشعر وجوّد في جولاته وموضوعاته فعدَّ من اعظم شعراء زمانه ، وشعره في الوصف والشعر العاطفي آية ، واشتهر بين الناس بهجوياته . واذ لم يكن له غرض في جمع شعره لم تسمُ همته الى تدوينه ، فهو يوجد مقاطيع في ايدي الناس . وقد جمع له بعض اهل دمشق قديماً ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ما له من النظم الرائع ، وقيل ان فيه اشياء ليست له .

طار صيت ابن عنين بهجوياته ، وما كان ينجو من هجوه كبير ولا صغير وشعره في الهجو خال من الاقذاع في الجملة ، وربما ضحك المهجوّ منه وساءه بما قال وافترى . وله في باب الاهاجي قصيدة بداعب فيها جماعة من الدمشقيين ، وهي القصيدة المعروفة بمقراض الأعراض افتتحها بقوله :

أضالع تنطوي على كرب ومقلة مستهلة الغرب
شوقاً الى ساكني دمشق فلا عدت رباها مواطر السحب
منازل مـا دعا تذكرها الا ولبى على النوى لبي

وقد ذكر فيها جماعة بأبدع الأوصاف وختمها بقوله :

وحين أبصرت دولة الأحـ دب أربت على علا الشهب
فقلت للمفلسين ويحكم تحادبوا فهي دولة الحُدْب

هجا ابن عنين العلية من قومه ومنهم المؤيد بن القلانسي والجمال بن المهدي الكاتب والقاضي ابن عصرون والقاضي الفاضل وزير صلاح الدين وكاتبه. وكان وقوعه على ما يظهر في القاضي الفاضل سبباً اعظم في غضب صلاح الدين عليه ، فأمر بتسييره من دمشق بسبب وقوعه في الناس ونفاه الى اليمن فمدح صاحبها طغتكين من اخوة صلاح الدين . طاف شرف الدين البلاد من الشام والعراق والجزيرة واذربيجـان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر ، ثم دخل الهند ورجع من طريق الحجاز الى الديار المصرية ، وقد مات صلاح الدين وتملكها اخوه الملك العادل ابو بكر بن ايوب ، فسار متوجهاً الى دمشق وكتب اليه قصيدته الرائية يستأذنه في دخول الفيحاء ويعدد ما قاساه في الغربة ، قال في الوفيات : وقد احسن فيها كل الاحسان ، واستعطفه ابلغ استعطاف ، وأولها :

ماذا على طيف الأحبة لو سرى وعليهم لو سامحوني في الكرى

وصف في أوائلها دمشق وبساتينها وانهارها ومواضع متنزهاتها ومما قال :

فسقى دمشق ووادييها والحمى متواصل الارهام منفصل العرى
حتى نرى وجه الرياض بعارض أحوى وقَوْداله وحٍ ابيض ازهرا
تلك المنازل لا ملاعب عالج ورمال كاظمة ولاوادي القرى
أرض اذا مرت بها ريح الصبا حملت على الأغصان مسكاً أذفرا

ثم عاد مشيراً الى النفي منها :

فارقتها لا عن رضاً ، وهجرتهـا لا عن قلىً ، ورحلت لا متخيرا
أسعى لرزق في البلاد مشتت ومن العجائب ان يكون مقترا
وأصون وجه مدائحي متقنعاً وأكف ذيل مطامعي متسترا

ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها :

أشكو اليك نوىً تمادى عمرها حتى حسبت اليوم منهـا أشهرا
لا عيشتي تصفو ، ولا رسم الهوى يعفو ، ولا جفني يصافحه الكرى
أضحى عن الأحوى المربع محوّلاً وأبيت عن ورد النمير منفرا
ومن العجائب أن يَقيل بظلكم كل الورى ونُبذت وحدي بالعرا

قال ابن خلكان وهذه القصيدة من أحسن الشعر ، وعندي أنهـا هي خير من قصيدة ابي بكر بن عمار الأندلسي التي أولها : « أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى » ، ولما نفي من دمشق قال :

http://Archivebeta.Sakhrit.com

فعلام أبعدتم أخا ثقة لم يجترم جرماً ولا سرقا
أنفوا المؤذن من دياركم ان كان ينفى كل من صدقا

ولما عاد اليها وتقدم بها عند المعظم قال :

هجوت الأكابر في جلق ورُعت الوضيع بهجو الرفيع
وأخرجت منهـا ولكنني رجعت على رغم أنف الجميع

ووصل به الحال ان هجا بعض الملوك الأيوبيين ، فانه لما ورد من اليمن الى مصر وطلبوا منه موجب ما ورد معه ، قال يهجو الملك العزيز صاحبها :

ما كل من يتسمى بالعزيز لها أهل ولا كل برق سحبه غَدِقه
بين العزيزين بونٌ في فعالهما هذاكَ يعطي وهذا يأخذ الصدقه

وقال في العادل سيف الدين بن ايوب :

ان سلطاننا الذي نرتجيه واسع المال ضيق الإنفاقِ
هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرسوم والأرزاق

وهذا هجو خفيف على القلب غير ثقيل على السمع ، لا بذاءة فيه ويحمل نكتة لطيفة . وهنا يعرض على الخاطر لماذا شق على الشاعر ان يطلع عمال المكوس على مافي متاعه ، وقد آب من سفرته هذه أبجر الحقائب ، وجمع من جوائز صاحب اليمن وجوائز غيره اموالاً اتجر بها فقدروا ما تموّله بثلاثين الف دينار ، ومن كان يملك هذا وهو في عقل ابن عنين ومعرفته ، لا يشق عليه ان يدفع حق الدولة ، هذا ان لم يكن ممن اعتادوا الأخذ ولا يعرفون العطاء ، ولا يروق ابداً غير الزيادة في وفرهم .

قال من ترجموا لابن عنين : انه كان من اظرف الناس واخفهم روحاً واحسنهم مجوناً ، وكان وافر الحرمة عند الملوك ، ولما عاد الى دمشق تولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ، وانفصل منها لما ملكها الملك الاشرف ، قال الصفدي في الوافي : انه لما ولي كان محمود الولاية ، كثير النصفة ، مكتوف اليد عن اموال الناس ، مع عظم الهيبة . فمن يخطبه الملوك لتولي أمور الدولة ، فيه ولا شك شيءٌ من أخلاق العظماء ، وليس هو بالشاعر الذي يجوز لنفسه ان يمد كل حين يده لمن يفضل عليه بشيءٍ ، وأخلاق الشعراء غير اخلاق الأمراء .

لا جرم ان ابن عنين آلم بهجوه بعض المشهورين ، وما استطاعوا ان يصموه الا بما جرت العادة ان يصم به الخصم خصمه ، واهم ما وصموه به تكفيره وتبديعه وتفسيقه ، فقالوا انه كان يخلّ بالصلاة ، ويصل ابنة العنقود ، واشتد بعضهم واوغل فرماه بالزندقة ، وكل اولئك تهات سهلة النطق على الناقمين والموتورين ، ولو كان كما زعموا زنديقاً ما عمر مسجداً بأرض المزة مزة كلب واوصى أن يدفن فيه ،

ولو كان منحلاً من العقيدة ما اختاره ملكان عظيمان للوزارة والملوك من أخوف الناس من الرأي العام واعداؤه وابناؤهم واحفادهم يحصون عليه انفاسه ٠

ولا نعتقد نفرة بعضهم منه الا بسبب هجائه لهم، وهجوه ينبعث على الأغلب من نكتة اذا جاءته ارسلها ٠ ولو كانت في عظيم لا يستحقها وتؤذيه فيحتنق عليه بها ٠ ولو كان يحسب لكل ما يبتده من شعره حساباً لما هجا القاضي الفاضل، وهو اعظم رجال عصره في السياسة والادب، ومن أشرف رجال الدولة على التحقيق ٠ نعم أخذ كما قال ياقوت، في الهجو بنفس طويل، وتفنن بأساليب السب والثلب، فأورد مالا يحسن ايراده حتى لقد هجا أباه ايضاً بقوله

وجنبني أن أفعل الخير والد ضئيل اذا ماعد اهل المناسب
بعيد من الحسنى قريب من الخنا وضيع مساعي الخير جم المعايب
اذا رمت ان اسمو صعوداً الى العلى غدا عرقه نحو الدنية جاذبي

ونحن نشك كثيراً في نسبة هذا الهجو له، ولعل هذه الابيات مما نحله اياه اعداؤه وخصماؤه ٠ وممن هجاه، والغالب انه كان يتبرم بعشرته، ابن المهدي في جواب رقعة طويلة ارسلها اليه :

وردت منك رقعة أسأمتني وثنت صبري الجميل كلولا
كنهار المصيف حراً وكرباً وليالي الشتاء برداً وطولا

كان لشرف الدين دقة احساس الشاعر، وكان جهبذاً نقادة، وربما كان قومه يريدون منه ان يقرّهم على مساويهم، فما رأى غير اداته الشعرية يصوبها اليهم كل حين يشفي بها صدره من انحطاطهم والتواء أخلاقهم، فمن ذلك قوله في الرشيد النابلسي، وقد صفع، يداعبه بل يثلبه :

تعجب قوم لصفع الرشيد وذلك ما زال من دابه
رحمت انكسار قلوب النعا ل وقد دنسوها بأثوابه

فوالله ما صفعوه بهـا ولكنهم صفعوهـا به

وقال يهجوه وابن شيث ويضيف نفسه اليهما :

انا وابن شيث والرشيد ثلاثة لا يُرتجى منا لخلق فائده

من كل من قصرت يداه عن الندى يوم الجدا وتطول عند المائده

فكأننا واو بعمرو ألحقت أو اصبع بين الاصابع زائده

وقال يهجو الموفق ابن مطران :

وقالوا اسعد بن الياس اضحى رئيساً لا حوته يد السعودِ

ولا اهجو الوجود وقد حواه لأن وجوده هجو الوجود

وقال يهجو ابن عساكر المعروف بخبز بدبس :

يا خليطاً بالدبس قصر عن الشـ ـعر فقد قيل رابح الشعر خامر

وترفق بالجند فالجند أبا ؤك ان صح انك ابن عساكر

اذا صح الحكم عليه بهذه الأهاجي ، وما رأيناه له في الموضوع الواحد غير البيتين والثلاثة ، ومعظمها مرتجلة على ما يظهر يوردها في مجلسه أو مع اصحابه ، واكثرها مما يتعمده للنكتة ، فلنا أن نقول انهـا تنوقلت بين القوم لسلاستها وخفتها على النفس ، ولطالما تنوقل الرديء المختصر وزهد في الجيد المطول ، والا فان لابن عنين قصائد ومقاطيع قالها في احوال كارثة كانت هي اولى بأن تشهره بين الناس ، وان يتناقلوها ويتدارسوها ، خصوصاً ما صدر عنه في غربته ، وقد طالت على ما يظهر ، وما كان يحمله رسائله الى اصحابه وغيرهم من هذا القبيل فقد قال من جملة قصيدة يذكر فيها اسفاره ويصف توجهه الى جهة المشرق :

أشقق قلب الشرق حتى كأنني افتش في سودائه عن سنا الفجر

وقوله لأحد أصحابه بدر الدين مودود الشحنة كان بدمشق (مدير الشرطة) :

يذكرني البرق الشآمي ان خبا زماني بكم يا حبذا ذلك الزمن

وياحبذا الهضب الابيل و«عزتا»   اذا ما بدا والثلج قد عم القنن

أأحبابنا لا أسأل الطيف زورة   وهيهات ابن «الدبلميات» من «عدن»

وقد ذكر «عزتا» غير مرة في شعره والغالب انها كانت مصطافه ولعلها كانت قرب الفيجة على ما يفهم من اماكن اخرى ، والدبلميات من ضواحي دمشق ، وعدن بلد معروف في اقصى بلاد العرب . وكما هجا شاعرنا الزجال هجا البلدان أيضاً ومما قال في الهند :

واذا سقى الله البلاد فلا سقى   بلد الهنود سوى الصواعق والدما

وقال في حلب سامحه الله :

قوم عهود رجالهم محلولة   ابداً وعهد نسائهم لم يحلل

من كل مائسة الثياب رشيقة   رُود الشباب كريمة في هيكل

وقال في جامع دمشق لما سلسلت ابوابه وفيه النكتة بديعة

سلوه اذا اجابكم سلوه   سلوه بجن حتى سلسلوه

ولولا انكم بقر حمير   لما منعوكم أن تدخلوه

وقال في المعنى :

لما رأى الجامع أمواله   منهوبة ما بين نوابه

جُن فمن خوف عليه غدا   مسلسلاً في كل ابوابه

وكيف لا تعتاده خيفة   وقد رأى المسخ لاربابه

القرد في شباكه حاكم   والتيس في قبلة محرابه

مدح ابن عنين الملك المعظم في عدة قصائد وكان يذكره يوم دمياط مع الصليبيين ومما قال :

وأذكرته أيام دمياط بيننا   وبين العدى والموت تهوي عقابه

وقال من أخرى :

ARCHIVE

غداة لقينا دون دمياط جحفلا   من الروم لا تحفى يقيناً ولا ظنا
قد اتفقوا رأياً وعزماً وهمة   ودينا وان كانوا قد اختلفوا لُسنا
تداعوا بأنصار الصليب فأقبلت   جموع كأن الموج كان لهم سفنا

وقال في رثائه :

لولا دفاعك بالصوارم والقنا   عن حوزة الاسلام عاد كما بدا
وديار مصر لو ونت عزماته   عن نصرها لتمكنت منها العدا
ولأمست البيض الحرائر كلها   فيهـا سبايا والموالي اعبدا
ولأصبحت خيل الفرنج مغيرة   تجتاب ما بين البقيع الى كُدا
وبثغر دمياط فكم من بيعة   عُبد الصليب بها وكانت مسجدا
انقذتها من خطة الخسف التي   كانت احلتها الحضيض الاوهدا

ومدح فخر الدين الرازي وسيرها اليه من نيسابور الى هراة ، ولما كان بخوارزم حضر يوماً درس هذا الامام العظيم ، وكان يوماً بارداً سقط فيه الثلج ، فبينما الشيخ يلقي الدرس اذ سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها ، فلما صارت بين الناس خاف الجارح وطار ، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من الخوف والبرد ، فرقَّ لها الامام فخر الدين وأخذها بيده وحنَى عليها فأنشده ابن عنين مرتجلاً :

يا ابن الكرام المطعمين اذا شتوا   في يوم مسغبة وثلج خاشف
العاصمين اذا النفوس تطايرت   بين الصوارم والوشيج الراعف
من نبأ الورقاء ان محلكم   حرم وانك ملجأ للخائف
وفدت عليك وقد تدانى حتفها   فحبوتها ببقائها المستأنف
ولو انها تُحبى بمال لانثنت   من راحتيك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها   والموت يلمع من جناحي خاطف

ARCHIVE

قرم يطاردها فلما استأمنت بجنابه ولى بقلب واجف

فطرب لها فخر الدين واستدناه واجلسه قريباً منه وبعث اليه لما قام من مجلسه خلعة ودنانير كثيرة وبقي دائماً محسناً اليه .

ومن نكاته الشعرية انه شهد في بغداد مسألة عرضت على القاضي فما اخلى حكمه فيها من لاذع تنكيته ، وذلك انه كان بمدينة السلام رجل له زوجة ويتردد الى الزوجة شاب تزعم أنه اخوها ، فجاء الزوج بعض الايام فرآه معها فمنعه من العبور الى بيته وتحاكما على دعوى الزعم فلم يمنع المذكور من الدخول اليها ، وكان اسم العاشق غياث واسم الزوج عمرو . ولم يستطع الزوج طلاقها لحبه لها فقال ابن عنين :

غياث فاسمعوا قولي وعمرو لهم عندي احاديث ظريفه
فزان ما عليه من جناح وقواد بتوقيع الخليفه

وقال فيهما أيضاً :

غياث وعمرو فاسمعوا ما علمته لشيخين عندي من شنارهما شانُ
غياث نفى عن نفسه الحدّ في الزنا وعمرو بتوقيع الخليفة قرنانُ

حركت الغربة في شرف الدين أشرف عواطفه ، واهاج البعاد دقيق أحاسيسه ، وتجلت صورة نفسه يوم أقصوه عن أرضه وأهله ، كأن السلطان ما نفاه عن بلده الا ليتغنى به ويتغزل بطبيعته الفتانة ، وليعرف الناس تفوق بلاده على غيرها في كل ما تحبو به الطبيعة الاصقاع والبقاع . كان ذلك مجيراً في كل مكان نزله ، وفي كل قصيد قصده ، والفضل في كل ذلك لمن نفاه فنفعه ونفع الأدب به ، قال من قصيدة يمدح بها صاحب اليمن السلطان طغتكين :

فأقلت اجتاب البلاد كأنني قذىً حال دون النوم في اعين رُمد
فلم يبق حزن ما توقلت حزنه ولم يبق سهل ما جرت به بردي

أكد وُيكدي الدهر في كل مطلب فيابؤس دهري كم اكد وكم يكدي
طريد زمان لم يجد لصروفه بغير ذرى الباب العزيزي من ورد
فلما استقلت في ذراه بي النوى وألقت عصاها بين مزدحم الورد
تنصل دهري واستراحت من الوجى قلوصي ونامت مقلتي وعلا وجدي

قال في مطلع قصيدة يمدح بها السلطان المعظم شرف الدين عيسى بن ابي بكر ابن ايوب :

اذا جبل الريّان لاحت قبابه لعيني وبانت من سنير هضابهُ
وهبت لنا ريح أتتنا من الحمى تحدث عما حملتها قبابه
وقامت جبال الثلج زهراً كأنها بقية شيب قد تلاشى خضابه
ولاحت قصور الغوطتين كأنها سفائن في بحر يعب عبابه
لَثِمْتُ الثرى مستشفياً بترابه ومن لي بأن يشفي غليلي ترابه

وقال يتغزل ويتشوق الى دمشق :

الا خبروني عن حمى «تل راهط» يلذ به سمعي وان فاتني النظر
وقصوا أحاديث «المصلى» وأهلها عليَّ فما لي في سوى ذاك من وطر
لقد طال عهدي بالمصلى وليتني رأيت المصلى او سمعت له خبر

وقال من قصيدة يمدح طغتكين :

ومحال قولي لنفسي عزاء مسرعة السير شيمة الأقدار
لو تخلى القطا لنام ولو خا ــيت لم أرم عن وجاري وَجاري
ولو اني خيرت في هذه الدنـ ـيا لما اخترت غير قومي وداري

وقال متغزلاً يتشوق الى دمشق :

يا برقُ حيِّ اذا مررت بعزتا أهلي وان زادوا جفا وتعنتا
أبلغهم عني السلام قل لهم أحبابنا هذا الصدود الى متى ؟

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الترب والمدافن الخاصة في الاسلام

اعتنى الانسان منذ آلاف السنين بالقبور والمدافن والبناء عليها ، خصوصاً مدافن الملوك والعظماء ، فأهرام مصر ومدافن الحثيين والآراميين والانباط والرومانيين لا تزال حتى اليوم ماثلة امامنا ، وما تزال الحفريات العلمية تكشف لنا بين آونة واخرى عن قبور ومدافن قديمة كانت مجهولة لدينا

جاء الاسلام فلم يعتن بالقبور والمدافن والبناء عليها ، وكان رأيه فيها « خير القبور الدوارس »

وامتزج الاسلام بعد ذلك بكثير من الشعوب ، ودخل كثير من ابناء هذه الشعوب في الاسلام ، فكان ان اصبح على قبور عظماء المسلمين من ملوك وامراء وعلماء واعيان مصانع شاهقة ذات قباب فنية رائعة عرفت بعد ذلك باسم الترب « جمع تربة »

والذي يترجح لدي ان هذا الطراز من البناء اخذ عن اصل فارسي ، فقد كان بظاهر الكوفة قريباً من قبر الامام علي بن ابي طالب قبتان جميلتان تحت كل قبة قبر نسج المؤرخون حولها قصة [1] فقالوا ان الذي بناهما هو المنذر بن امرئ القيس بناهما على قبري نديميه اللذين امر بقتلها وهو سكران ، فلما أصبح وأخبر بالذي أمضاه ندم على قتلها وبنى عليها طربالين ، وجعل لها في السنة يوم بؤس ، ويوم نعيم حزناً عليهما ، وكان هذان الطربالان يلطخان بدم من يقتل يوم البؤس فلذلك لقبا بالغريين [2] ايضاً لما يلطخ بهما من دماء

ومهما يكن من امر بناء هاتين القبتين فهما من العصر والطراز الفارسي ، وقد بقيتا الى العصر العباسي في النجف قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فلما مر الخليفة العباسي هارون الرشيد من ذلك الموضع وأخبر ان هناك قبر الامام

---

(١) معجم البلدان لياقوت طبع مصر ج ٣ ص ١٨٣ و ٨٤ وفيه أساطير طويلة تدور حول هاتين القبتين . (٢) الغريان تثنية الغري وهو المطلي بالغراء ، ولعل القبتين كانتا مطليتين بمادة تشبه الغراء أو نحوه فلما نسجت حولها هذه القصة زعم ان هذا الطلاء هو دم من يقتل يوم البؤس .

علي امر ببناء قبة على قبره وكان ذلك بعد سنة (١٧٠) هجرية . ويقول الحسن ابن محمد الديلمي : امر هارون الرشيد ان يبنى عليه قبة بأربعة ابواب فبنيت ، وذكر ابن طحال ان الرشيد امر ان تبنى عليه قبة فبنيت من لبن احمر وطرح على رأسها جرة خضراء وهي في الخزانة اليوم [١] .

لا ريب ان قبة قبر الامام علي هي اول قبة من نوعها في الاسلام ما دام لا يوجد لدينا نص يدل على ما هو اقدم منها ، ووجود الطربالين او القربين قريباً منها يجعلنا نحكم بأن قبة الامام تأثرت بهما الى حد ما .

والظاهر ان مثل هذه القبة وضعت بعد فترة من الزمن على باقي قبور الأئمة من اهل البيت النبوي ، ثم شاع استعمالها في انحاء البلاد الاسلامية ، وتردد ذكرها كثيراً في كتب الطبقات والتراجم باسم التربة .

وقد عقد المقريزي في خططه بحثاً خاصاً بترب مصر [٢] كما فعل مثل ذلك النعيمي والعلموي [٣] والبقاعي في ترب دمشق [٤] ، ومحمد بن طولون في ترب صالحية دمشق [٥] .

معنى التربة والطربال

واذا طلبنا معنى التربة في كتب اللغة نجد صاحب المصباح يفسر التربة بالمقبرة مع ان التربة التي ترد في كتب التاريخ والتراجم والخطط لا يراد بها المقبرة او القبر وان كان في التربة شيء من معناهما ولكن يراد بها تلك القبب الفخمة التي تكون على قبور العظماء من ملوك وامراء وعلماء واعيان

---

(١) أعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٨٧ (٢) ج ٤ ص ٣٤٨ و ٤٩ طبعة المليجي .

(٣) النعيمي هو عبد القادر النعيمي الشافعي ذكره في كتابه تنبيه الطالب وارشاد الدارس (مخطوط) ومنه نسخة في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وبالخزانة التيمورية بمصر في دار الكتب المصرية ، والعلموي هو عبد الباسط بن موسى العلموي اختصر كتاب تنبيه الطالب وزاد عليه في بعض المواضع (مخطوط) ومنه نسخة عندي وبالمجمع العلمي العربي بدمشق وبالتيمورية بمصر .

(٤) البقاعي هو احمد بن احمد بن علي البقاعي الحنفي اختصر كتاب النعيمي أيضاً ومنه نسخة عند السيد احمد عبيد بدمشق . (٥) له كتاب أسماء القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية . ومنه نسخة فوطغرافية في المجمع العلمي بدمشق وبالتيمورية بمصر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والذي يترجح لدي ان لفظ التربة مأخوذ من الطربال الذي خفف بحذف آخره فصار طرباء وتداولته الالسن فظن بعد ذلك تربة للشبه القريب بين طربا وتربه في اللفظ والمعنى

واذ رجعنا الى معنى الطربال في كتب اللغة وجدناه هو المراد لما يقصده المؤرخون واصحاب الخطط من معنى التربة . ففي نهاية ابن الأثير : الطربال هو البناء المرتفع كالصومعة . وفي معجم البلدان لياقوت : الطربالان هما بناآن كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه . وحينما نرجع الى كتب اللغة نجدها اوضحت معنى الصومعة ايضاحاً كافياً . ففي القاموس : الصومعة بيت للنصارى لدقة في رأسه ، وفي اساس البلاغة : من المجاز قولهم للثريدة اذا رفع وسطها وحدد رأسه ودقق « الصومعة » . وفي المختار ثريدة مصممة اذا دققت وحدد رأسها ، وصومعة النصارى من هذا لأنها دقيقة الرأس

وفي مقبرة بغداد قبة من روائع الفن العراقي ينطبق وصف الطربال عليها تمام الانطباق وهذه صورتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

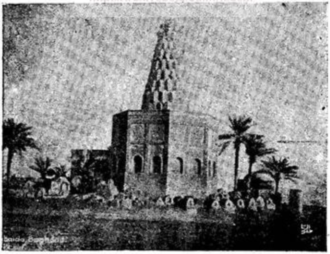

ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري اخذت الترب ترتدي ثوباً علمياً وتنطبع بطابع ثقافي فكان يضاف الى التربة مدرسة علم ، او مكتبة مطالعة ، او مكتب لتعليم الأيتام والاطفال ، او مسجد للصلاة يكون فيه درس علم او قراءة قرآن ، ففي سنة (٤٥٩) بنى شرف الملك محمد بن منصور الخوارزمي قبة[1] على قبر الامام ابي حنيفة والى جانبها مدرسة كبيرة للحنفية ولما تم بناؤها دعا اليها الفقهاء والعلماء والاعيان وأنشد الشريف البياضي الشاعر

الم تر ان العلم كان مبددا　　فجمعه هذا الموسد في اللحد

كذلك كانت هذه الارض ميتة　　فانشرها فعل العميد ابي سعد

والظاهر ان هذه المدرسة هي الأولى من نوعها حيث يقوم معهد علمي الى جانب قبر رجل عظيم تسمى المدرسة باسمه ·

ومنذ هذا الوقت اخذت المعاهد العلمية تشاد الى جانب قبور العظماء ، وهذا ما دعا اصحاب كتب الخطط ومؤرخي مدارس العلم لجعل فصل خاص بالترب لما لها من ناحية ثقافية · جاء في ترجمة علي بن علي بن دوزبهار بن باكير الكاتب البغدادي انه وقف كتبه بمشهد[2]

---

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٨ و ١٩ المطبعة الأميرية ، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥

(٢) المشهد اسم مكان من الشهادة ، والشهيد هو من قتل في سبيل الله فكأن دمه المطلول يشهد له بجهاده ، والذي يظهر لي ان هذه اللفظة استعملت أولا للبنايات التي شيدت على قبور أهل البيت ، وان أول ما أطلق منها على مشهد الحسين رضي الله عنه حيث دفن بالمكان الذي استشهد فيه ثم على قبر أبيه الامام علي رضي الله عنه ثم على بقية قبور الأئمة حيث أن أكثرهم مات قتلاً أو سماً ، ثم اتصل ذلك إلى أهل السنة فبنوا على قبور أئمتهم ومشاهيرهم مصانع دعيت بالمشاهد أيضاً كمشهد أبي حنيفة في بغداد ، ومشهد الرفاعي في أم عبيدة ، وتوسع رجال الشيعة وأهل السنة في هذا فكانوا يبنون مشاهد على غير قبور وينسبونها لاسم أحد المشاهير المتحقق دفنه ووفاته في بلدة أخرى ، فاذا سئلوا عنها أجابوا بأنهم شاهدوا صاحب هذا الاسم بالمنام في هذا المكان وانه طلب ذلك منهم · ونشأ في العهد الفاطمي نوع آخر من المشاهد له صبغته السياسية ، فكان الفاطميون إذا استولوا على الشام اظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوها إلى أهل البيت ، وإذا استولى العباسيون أو السلجوقيون أظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوها إلى بعض الصحابة ، ولذلك فكثير من قبور ومشاهد كلا الفريقين في الشام ومصر مشكوك فيها ·

موسى بن جعفر [١] وشرط ان لا تعار [٢]

وفي ترجمة الوزير مجد الدين البهنسي المتوفى سنة (٦٢٨) انه جعل كتبه وقفاً بتربته بسفح قاسيون واجرى عليها اوقافاً جيدة [٣]

وانتشر في العصر الايوبي بناء المدارس الى جانب الترب انتشاراً عظيماً ففي سنة (٥٢٧) بنى صلاح الدين الايوبي تربة الامام الشافعي وانشأ المدرسة الصلاحية بجانبها ، وبنى مدرسة مجاورة للمشهد المنسوب للحسين بن علي [٤]

ولما توفي صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٩) دفن في قلعة دمشق حتى جاء ولده العزيز عثمان الى دمشق فبنى له تربة والى جانبها مدرسة هي من اعظم مدارس دمشق وقف لها وقفاً مليحاً ونقل اباه صلاح الدين اليها [٥]

ولما توفي الملك العادل اخو صلاح الدين سنة (٦١٥) دفن في قلعة دمشق أيضاً ، فبنى له ابنه الملك المعظم تربة ومدرسة دعيت باسمه ونقل اباه اليها [٦] ، والمدرسة المذكورة هي مقر المجمع العلمي العربي بدمشق ·

هذه صورة مجملة عن تاريخ الترب الاسلامية وهي تختلف كل الاختلاف عن ترب ومدافن الامم القديمة الخاصة التي لم يقصد منها الا تخليد الذكر والفخار لأصحابها بخلاف المدافن الاسلامية الخاصة التي قصد منها خدمة العلم والثقافة مضافاً الى ذلك تخليد اسماء المشاهير من عظماء المسلمين ·

دمشق : محمد أحمد دهمان

(١) هو الشهير بموسى الكاظم بن جعفر الصادق وهو موسى ثامن الأئمة الاثناعشرية توفي في بغداد سنة (١٨٣) قيل إنه توفي مسموماً ·

(٢) الوافي بالوفيات في المكتبة الأحمدية بالاستانة رقم المخطوط (٢٩٢٠) عن السيد يوسف العش · ولعلي بن علي بن دزوبهار ترجمة في الجزء التاسع من عنوان التواريخ لابن الساعي · نشره مصطفى جواد في بغداد عام ١٣٥٣ هـ ·

(٣) تنبيه الطالب ، ومختصراه للعلموي والبقاعي ·

(٤) تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٥٣٢ المطبعة الأميرية والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٦ و ٥٥ والتعليقات عليها · (٥) تنبيه الطالب ، ومختصراه للعلموي والبقاعي · (٦) المصدر نفسه ·

هل عرف العرب البلهارزية

١ : توطئة

ليس كاتب هذه الكلمة طبيباً ، انما درس الطب في شبابه مدة سنتين ، ثم عدل عنه الى تحصيل الفلسفة وعلم اللاهوت في مونبليه *Montpellier* ، في فرنسة للترهب فأكبَّ عليهما سبع سنوات ، ثم ترهب .

فما تقرأ هنا ، لا يعتمد عليه الا من باب الاطلاع والفضول والوقوف على ما يكتب ، لا من باب العلم الذي لا يرتاب في حقيقته ، ولا من باب التأكيد الذي لا ريب فيه .

ان البلهارزية لم تخلق في هذا العصر ، ولا قبل عصور عدة ، انما وجدت مع وجود العالم ، وهي « دودة مستطيلة : الى البياض ما هي ، طولها ثلاثة خطوط ، واغلب ما تكون في الاوردة الصغيرة ، في الغشاء المخاطي المبطن للمسالك البولية ، وتسبب البول الدموي في اهالي ديار النيل » (عن لترَه في معجمه الطبي)

وبلهارزية ، كلمة منسوبة الى الطبيب الالماني الذي اكتشفها في مصر واسمه *Bilharz* فالعرب كانوا في وادي النيل وعاشوا فيه ، وابناؤهم لا يزالون في تلك الديار ، وهم يصابون بالبول الدموي الى عهدنا هذا ، فلا بد من ان اجدادهم عرفوا هذا الداء والدودة التي تسببه ، فما كانوا يسمونها ؟

٢ : البلهارزية هي قملة النسر .

قرأت في القانون لابن سينا ما هذا نصه الذي انقله بحروفه عن نسختي الخطية (ظهر ص ٧٢٣ وتقع في المجلد ٢ : ١٤٨ من طبعة رومة) :

« فصل في قملة النسر المسماة (دَدَه) بالفارسية ، و (صملوكي) باليونانية ، و (طفانوس) بالهندية .

. « وهذه هامة كالقملة ، او كأصغر الديدان ، قال جالينوس : هي صغيرة لا يُتوقّى منها ، وتكاد لا تبصر لسعتها ، وهي مما تفجر الدم بولاً ورعافاً ، ومن المقعدة ، ومن المعدة ، بالقيء ، ومن الصدر والرئة ، ومن اصول الاسنان . وربما عظم الخطب فيها ، فلم تقبل الدواء » انتهى

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان ٥ : ١٢٠ : « وكذلك يقال ان البعوضة لو الحقت بمقدار جرم الجرّارة [١] ، فانها اصغر العقارب . ثم زادت من تضاعيف ما معهـا من السمّ على حسب ذلك ، لكانت شراً من الدويبة ، التي تسمى بالفارسية دده [٢] وهي أصغر من القملة [٣] شيئاً . وتكون بمهرجان قُذَق [٤] ، فانها مع صغر جسمها ، تفسخ الانسان في اسرع من الاشارة باليد ؛ وهي تمض وتلسع ، وهي من ذوات الافواه ، وهي التي يزعمهم يقال انها قملة استحالت هذه الدابة الخبيثة » انتهى .

٣ : سبب تسميتها بقملة النسر

يظن بعضهم ان قملة النسر سميت بهذا الاسم لأنها تكون فيه ، لا تخرج منهُ ، فتهجم على الناس . هذا في رأي الأقدمين ، وليس من العلماء المحدثين من يرى هذا الرأي ، فهي لا توجد فيه ، وان وُجدت ، فكيف تصل الى الانسان وكيف تهجم عليه ، ولا سيما في المواطن التي لا نَسرَ فيها ، ولا أثر لهُ فيها ؟ ثم كيف تصل الى مسالكه البولية ؟

والذي عندنا انها سميت بذلك للاشارة الى انها تفتك بالانسان ، فتك النسر بصيده ، او من باب اضافة الحقير الصغير الى الجليل الكبير ، تعظيماً له ولأمره ولفعله . فقد قال الأقدمون منا : أسد الله ، وسيف الله ، وقوس الله ، ورُمح الله ،

(١) الجرّار : ضرب من العقرب صغير خبيث يعرف بهذا الاسم في بغداد ، واحده جَرّارَة . وفي الأصل المطبوع الجرادة وهو خطأ .

(٢) وفي الأصل المطبوع ذروة وهو خطأ بين .

(٣) وفي الأصل المطبوع : أكبر من القملة شيئاً ، وهو وهم آخر .

(٤) وفي الأصل المطبوع : بمهرجان فوق ، وهذه كبوة أخرى .

وكلب الله ، الى نظائرها من التعابير ، ونحن نعلم ان ليس لله أسد ولا سيف ولا قوس ولا رمح ولا كلب ، بل كل ذلك من باب التعظيم والاجلال ·

٤ : مترادفات قملة النسر

قال ياقوت الحموي في معجم الادباء في ترجمة علي بن منصور الحلبي (طبعة مرجليوث ٥ : ٤٢٧) (١) : « واتفق ان الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة ، وهي التي تسمى التراقي ، ويقال لها قملة النسر أيضاً ، فمات منها ، وكان نصرانياً » اه ·

وذكر التراقي ابن الاثير في كامله · قال (في المجلد ١٠ : ٣٧٤ من طبعة الافرنج) : « في هذه السنة (٥١٢) · سادس عشر شهر ربيع الآخر ، توفي المستظهر بالله ، ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله ، وكان مرضه التراقي (٢) »

وعندنا ان التراقي من اصل فارسي هو (تِراك) كسحاب وكتاب · ومعناها الشقّ والفلع والفلق وسمي كذلك لأن هذه الدودة تحدث فلماً دقيقاً في المكان الذي تقيم فيه ، وعربت بقاف في الآخر وزيادة الياء ، كأنهم أرادوا ان يقولوا : ذات الصدْع او الصادعة ·

على أن لها تأويلاً في اللغة الضادية وهو : ان التراقي جمع ترقية مصدر رقي ·

(١) نحن لا نستشهد بطبعة الدكتور أحمد فريد رفاعي بك فانها لكثيرة الغلط والتصحيف وأوهام الطبع ، فان هذه الترجمة وقعت في المجلد ١٥ ص ٨٣ وما يليها · فقد جاء مثلاً في الأبيات المذكورة في ص ٨٧ ما هذا نصه : « ان الزمان قد نفر » وفي مرجليوث : قد نصر — وفيها : فقد عدا على النصر · وفي مرجليوث : فقد غدا — وفيها : من غره — وفي مرجليوث : من غرة · ونحن لا ننكر ان لرواية الدكتور أوجهاً أصح من أوجه مرجليوث لكن يحسن به أن يذكر الروايتين ليتبين الفرق بينهما وينتقي القارئ ما يشاء أو ما يستصوبه ·

(٢) لاحظ ابن الاثير ان المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله مات بالعلة التي توفي بها والده ، وهذه عبارته : « في هذه السنة (٥٥٥) ثاني ربيع الأول توفي امير المؤمنين المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس احمد بن المقتدي بأمر الله رضي الله عنه بعلة التراقي ··· ووافق أباه المستظهر بالله في علة التراقي ، وماتا جميعاً في ربيع الأول » اه ·

ولا شك ان الابن تلقى مرضه من والده ، وإن لم يكن هذا المرض معدياً في حدّ نفسه · هذا الذي يتبين من الظواهر ، ولعل هناك سبباً آخر يدلنا عليه اطباؤنا المهرة الحذاق ·

ومن العجب ان معاجم اللغة لم تذكر اسماً من الأسماء الثلاثة ، ولا خرز الطين . وقد جاءت هذه الأخيرة مصحفة تصحيفات غريبة في نسخ القانون ، من مطبوعة ومخطوطة ، وانا اذكر هنا ما وقع طائر بصري عليها وهي : خزر الطين ، بتقديم الزاي على الراء . — وخزز الطين ، بزايين . وحرز الطين ، بحاء مهملة وراء وزاي — وجرز الطين ، بجيم وراء وزاي . وعسى ان يقوم من دكاترتنا المعنين في الطب واللغة ، من يزيل الابهام عن هذه الالفاظ فيكسب شكر جميع الناطقين بالضاد .

بغداد : الأب انستاس ماري الكرملي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مفردات القرآن

ولانقول غريب القرآن ، لأن مدارسة القرآن على ألسن الملايين من الناس منذ بدء الوحي الى هذا العهد ، أخذت على الغرابة مجامع السبل ، فلم تجد اليه سبيلا ، فلا تجد لفظة من ألفاظه غير مألوفة الاستعمال ، ومعروفة المعنى ، واضحة المغزى . وهل الغرابة في الألفاظ الا كونها غير اليفة ، فيحتاج في معرفتها الى التنقير عنها في مطاوي المعاجم المبسوطة . وقديماً عدوا الغرابة من عيوب الفصاحة ، فأنى لنا أن نلصقها ببعض ألفاظ القرآن ، وقد اجمع الأولون والآخرون على انه أفصح كلام عرفته اللغة العربية ، منذ كانت في المهد الى هذا العهد .

هذا ولسنا بحاجة الى بيان ما للقرآن من اليد المشكورة على لغة العرب ، لأن هذا من أوائل البديهيات ، فلقد كان القرآن ولا يزال ، المعين الفياض لعلماء اللسان . يردونه ظماء ، ويصدرون عنه رواء . ومن ثم توافروا على ضبط مفرداته ، وتحرير لغاته ، واستقصاء حقائقه ومجازاته ، وتصاريحه وكناياته ، ودقائقه ونكاته ، وذلك لأن الناحية اللسانية هي أول ما يستقبل طالب علوم القرآن من القرآن . ولهذا رأينا علماء الدين وطلاب اليقين يسيرون في هذه الناحية الى جنب علماء اللغة كتفاً لكتف ، فأسفر هذا التآزر عن احسن النتائج وأعظم الفوائد . وبديهي ان مفردات القرآن كتراكيبه هي لب لباب كلام العرب ، وصفوة الصفوة منه ، وأنها معتصم المتأدبين ، ومرجع العلماء المحققين ، بل مثابة أمراء القول من المتقدمين والمتأخرين . ولله شيخ المعرة حيث يقول في عرض كلام له في رسالة الغفران « اجمع ملحد ومهتدي ، وناكب عن المحجة ومقتدي ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد ص كتاب بهر بالاعجاز . ولقي عدوه بالارجاز ، ما حذي على مثال ، ولا أشبه غريب الامثال ... وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتكون كالشهاب المتلألئ في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق » .

ولا مرية في أن القرآن كان يخاطب العرب على وفق مناهجهم في مخاطباتهم وخطاباتهم ، وتفاهمهم في أفرادهم وجماعاتهم . وكان الصحابة يعرفون أكثر ما يرمي اليه من المعاني ، وما يومئ اليه من المغازي ، واذا غم عليهم شيء من ذلك فزعوا الى الرسول الكريم ، فينير لهم السبيل .

وأكثر ما يكون تسآلهم عن الكلمات التي تصرف القرآن في أوضاعها ، وحولها عن مجاريها الاعتيادية الى معاني جديدة لم تكن من مألوف القوم قبلاً . مثل : القرآن . والايمان . والكفر . والصلاة . والزكاة . بمعانيها الشرعية . وقد غبر الناس على هذا حياته ص . ثم مدة حياة أصحابه من بعده ، الى ان فتح على العرب ممالك الأعاجم ، واختلطوا بحمرانها ، وصفرانها ، وبيضانها ، وسودانها . ومن هناك أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً من بين فارسي ، ورومي ، ونبطي ، وحبشي ، وغيرهم من مختلف الألوان التي دانت لسلطان الفاتحين ، فاختلط القوم بالقوم بالمساكنة والمجاورة ، والمخاتنة والمصاهرة ، والمصاحبة والمتاجرة . وبذلك تداخلت اللغات ، ونشأت ناشئة من صميم العرب في أحضان هذا التبلبل ، فجاءت مختلفة السلائق ، مضطربة الألسنة ، كما نبتت نابتة من أبناء الأعاجم تلقفت من العربية ما يسد حاجتها في المخاطبات والمحاورات . ومن هنا ذرّ قرن لغة أمشاج ، لا هي بالعربية الصافية . ولا العجمية الصرفة ، ولم تفتأ هذه اللغة ان ملكت المجبين من السنة الدهماء ، واحتلت مكانة ضيقت فيها على المعربة أنفاسها . وما كاد ينطوي بساط المئة الأولى للهجرة حتى بدت وجوه الاختلال سافرة ، وظهر الاضطراب في عمود اللغة كل الظهور .

ومن هنا شعرت جمهرة القوم بمسيس الحاجة الى الاستفسار عن كثير من الفاظ القرآن الكريم ، واستجلاء معانيها التي كان أسلافهم يدركون مراميها بحكم سلائقهم ، لأنها من نوع ما كانوا به يتفاهمون ، وعلى نمط ما به ينثرون وينظمون . ولما رأى عقلاء الأمة وأهل العلم استرسال أمر الاختلال ، وتفاقم الاضطراب

والاختبال — استفزتهم الحمية وأهابت بهم الغيرة ، فانصرف فريق منهم لرأب هذا الصدع ، وسد هذا الثغر

وأول من بلغنا انه جمع شيئاً في تفسير بعض مفردات القرآن ابو عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ فقد ذكروا أنه الف في هذا كتاباً اسماه (المجاز في غريب القرآن) وآخر اسماه (معاني القرآن) . والمراد بمعاني القرآن تفسير مفرداته . وهو اصطلاح معروف عند المتقدمين . وحيث رأيت في كتب علوم القرآن : قال أهل المعاني فالمراد بهم مصنفو الكتب في مفردات القرآن . وتجد في فهرس كتب الأصمعي كتاباً اسمه : غريب القرآن . والأصمعي من معاصري أبي عبيدة وتأخر عنه قليلا .

ثم أقبل أهل العلم على التأليف في هذا الموضوع حتى لا يكاد يقع نظرك على فهرس من فهارس ائمة اللغة الا وتجد صدره متحلياً باسم كتاب في هذا المعنى . منهم الزجاج والفراء ، ومحمد بن القاسم الانباري ، وابو عمر الزاهد ، ومحمد بن عبد الواحد . وابن دريد وغيرهم خلق كثير . وكان من اجمعها كتاب ابي عبيد القاسم ابن سلام (المتوفى سنة ٢٢٣) وكانت الكتب المصنفة في هذا الفرع من العلم عارية من الترتيب غفلاً من التبويب ، وكانت بالمجاميع اللغوية أشبه منها بالكتب ذات الفصول والابواب . واستمر الامر على ذلك الى ان جاء ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني (المتوفى سنة ٣٣٠) فألف كتابه المشهور (بنزهة القلوب) ورتبه على حروف المعجم ترتيباً لم يسبق اليه ، فبدأ بالهمزة المفتوحة ، وثنى بالمضمومة ، وثلث بالمكسورة . وهكذا فعل بسائر حروف المعجم على الترتيب المشهور . وهذا الكتاب على صغر حجمه من أتقن ما ألف من نوعه . وقد قيل انه أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ، وكان يتعهده بالتصحيح والتجويد بين حين وآخر .

ولم تزل التآليف في هذا الباب آخذة في الاتساع من حيث الكمية ، والاجادة

من حيث الكيفية ، الى ان جاء ابو عبيد احمد بن محمد الهروي (المتوفى سنة ٤٠١) وصنف كتاباً كبيراً جمع فيه بين غريبي القرآن والحديث ، ورتبه على حروف المعجم فاستخرج الكلمات اللغوية التي تحتاج الى التفسير والتوضيح . واثبتها في حروفها وذكر معانيها . فاذا أراد الانسان كلمة وجدها في حرفها . فجمع كتابه هذا بين دقة التحقيق ، وجودة الترتيب والتبويب . ولذلك اعتمد عليه الناس من بعده واكثروا عليه من الاستدراكات والتعليقات والاضافات ، الى أن جاء الحافظ ابو موسى محمد بن ابي بكر المديني الاصفهاني فصنف كتاباً جمع فيه مافات الهروي من الغريبين ، وسلك في وضعه وترتيبه مسلك الهروي ، فجاء مماثلاً له حجماً وفائدة ، وغبر الناس يعتمدون في هذا الأمر على هذين الكتابين الجليلين وما سبقها من الكتب المهمة الى ان جاء أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الاصفهاني (المتوفى سنة ٤٠٢) فألف كتابه مفردات الفاظ القرآن ، مرتباً على حروف الهجاء ، مقدماً ما أول اصوله الهمزة ثم الباء الى آخر حروف المعجم ، مشيراً الى المناسبات التي بين الالفاظ المستعارة والمشتقة . فجاء كتابه هذا من احسن ما الف في بابه من حيث غزارة المادة ، وكثرة التحقيق ، وحسن الاختيار ، وبعد النظر ، فهو — في نظرنا — افيد معجم يرجع اليه الطالب في تحقيق معاني الألفاظ القرآنية ، وعليه اعتمد البيضاوي في تحرير تفسيره من ناحية معاني الألفاظ وأصول اشتقاقها . ولم نعرف من بعده كتاباً يفضله في موضوعه هذا ، ومن الواضح أن المؤلفين في هذا الفرع يستقون حاجتهم في المعين الذي تستقي منه اللغة العربية على العموم ، زيادة على استعانتهم بالاحاديث النبوية وآثار الصحابة ، كالمنقول عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فانه ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير الجدير بالاعتماد تجد ذلك منثوراً في كتب التفسير ودواوين اللغة . وقد أحصى منها جلال الدين السيوطي في (الاتقان) ما يقرب من ثمانمائة كلمة مع تفسيرها على طريق الايجاز

بغداد : طه الراوي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

خريطة العالم العربي

من سنة ١١٥٤ ميلادية

حصر الغرب اللغات العلمية المدنية باللغتين اللاتينية واليونانية • وأرى انه كان للغة العربية في القرون الوسطى أثر في المدنية الغربية ، فهي فضلاً عن أنها أم المدنية الاسلامية ، تستحق أن تعد ثالثة اللغات المدنية الغربية •

وبرهاناً على هذه الحقيقة التاريخية (التي ظلها الغرب في ابنتها الشرعية) أقدم لكم شاهداً عدلاً وهو : ان أول خريطة عالية بالمعنى العصري ، كانت تحتوي على تفاصيل جغرافية اوربا وافريقية وآسيا ، نشرت في أوربا سنة ١١٥٤ ميلادية ، وكان نشرها باللغة العربية •

وقعت قبل هذه الخريطة بالف سنة محاولة وضع خريطة عمومية باللغة اليونانية للأراضي المعروفة في تلك العصور وقد رسمها بطليموس بمصر • الا أن خريطة هذا العالم الكبير لم تكن وافية • لأنه ذكر في خريطته نحو ثمانية آلاف من أسامي الأمكنة • والى الآن لم يتمكن أهل العلم الا من تعيين أقل قليل مما ذكر في خريطته • أما هذه الخريطة العربية فكل ما ذكر فيها من الأسماء والأمكنة ترد اليوم في خرائطنا العصرية ومعلومة لنا بأعيانها من غير التباس ، فحق لنا أن نعتبر هذه الخريطة خريطة عالية بالمعنى الذي نعرفه اليوم من هذا اللفظ •

رسمت هذه الخريطة بمدينة بالرمه *Palermo* في جزيرة صقلية • رسمها ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الادريسي •

يقال أنه ولد في أسيوط سنة الف ومئة ميلادية • وتوفي سنة ١١٦٣ ميلادية وكان يشتغل بالعلوم في قرطبة ، وقد ساح الأقطار وألقى عصا التسيار في جزيرة صقلية عند ملكها روجار الثاني ملك جزيرة صقلية وايطاليا الجنوبية وقسم من شبه جزيرة البلقان من سنة ١١٣٩ — الى سنة ١١٥٤ • وعاصمته مدينة بالرمة

وكان هذا الملك يُعنى بالجغرافيا ، كان يجمع المعلومات الجغرافية من أقطار العالم كافة ، ثم عزم على هذا العالم العربي الادريسي أن ينشر هذه المعلومات ويرسم عليها خريطة جغرافية لأوربا وافريقية وآسيا . فقام الادريسي بهذا الأمر المهم حق القيام ، ونشر كل ما جمعه الملك من المعلومات ، وزاد عليها وكملها بما حصله هو نفسه باجتهاده طول عمره .

فوضع أول مصوّر عالمي باللغة العربية وقد حفره ونقشه على لوح فضي بشكل خوان ، يقوم على قوائم ، طوله متر ونصف وعرضه ثلاثة أمتار .

صرف الادريسي في سبيل تحقيق المعلومات التي كان جمعها الملك روجار ، وفي ترتيبها ، وفي جمع المعلومات الجديدة ، وكتابتها وحفرها زيادة على خمس عشرة سنة كاملة .

وفي السنة (١١٥٣ — ١١٥٤) وهي السنة الأخيرة من هذه الأعمال الكبيرة أصاب الملك مرض ، والغالب ان الادريسي عجل في اتمام عمله وخريطته حتى يراها الملك العظيم قبل موته ، وقد وفق الى اتمام عمله الكبير في ربيع سنة ١١٥٤ ميلادية حتى تمكن الملك الكريم من رؤية نتيجة مساعيه الجليلة ، فتوفاه الله بعد قليل من الزمن .

ARCHIVE http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

وقد كان لهذه الخريطة في عهدها أثر عظيم فانتبه لذلك الشرق والغرب . يشهد بذلك كثرة النسخ المحفوظة في الخزائن الغربية ، ومن الأسف أن تلك النسخ كلها مجزوءة . فما كان الناسخ يستنسخ الا ما كان له علاقة بوطنه . ولم يعهد من استنسخ الخريطة باجمعها .

أما الخوان الفضي الذي خرطت عليه هذه الخريطة البديعة فقد صار فريسة حروب ، فضاعت الخريطة بيد طامع طمع في فضتها فأذابها .

وجاء العالم الألماني قونراد ميلر *Konrad miller* فبعث هذه الخريطة البديعة بجميع أجزائها المشتتة من قبورها المتفرقة ، فاشتغل هذا العالم سنين عديدة جامعاً كل الاجزاء وكساها شكلاً يشبه هيئتها الأصلية وطبعها سنة ١٩٣٧ ، وكتب الأسامي العربية كلها بالحروف اللاتينية . وصارت كل الحروف منكوسة رؤوسها

الى اسفل ، على نظام الخرائط العربية القديمة ، لأن الجنوب فيها فوق الصحيفة . ثم طبعت الخريطة سنة ١٩٣١ طبعة ثانية . وقد أرسلت اليكم بنسخة منها فوتوغرافية . ومن يرغب في اقتنائها فليراجع ناشريها في ليبسيك .

ولننظر نظرة اجمالية اول خريطة للعالم المتمدن القديم ، ولا يتعجبنّ الناظر اذا رأى قلة الاتقان في تخطيط حدود البحار والأراضي لأن أسباب الاتقان لم تكن متوفرة عندهم في تلك الأزمان ، حتى لم تكن عندهم الابرة = البوصلة **Bussola** ولم يكن عندهم مابه يمسحون المسافات البعيدة . وما كانوا يرسمون الا على صور ذهنية كانت تحفظ في حافظاتهم بالمشاهدة الذاتية او من حكايات أهل السياحة .

ويظهر لنا من خريطة الشريف الادريسي انه كان يعرف الغرب والشرق معرفة جيدة ، وان لم يكن يجيد الرسم . ومركز المعمورة في زمنه على حسب عقيدته كان الشام بمدنها : دمشق ، وحمص ، وبيروت وغيرها ، وفي شرق الشام : العراق وايران والتركستان ، وفي جنوب الشام : جزيرة العرب . ولا يستغرب اذا كان الادريسي لا يعرف آسيا الشرقية والشمالية معرفة جيدة فالقليل الذي كان يعرفه منها له قيمة كبيرة عندنا اليوم . والادريسي وان لم يكن يجيد معرفة اوربا

الشمالية الا انه كان يعرف أوربا الغربية وافريقية معرفة تامة . وكان يعرف ان النيل ينبع من الحياض الكبيرة في أواسط افريقية — وكان يعرف اكثر مما كان يعرفه الغرب قبل اليوم بمئة سنة لأن الغرب لم يكتشف منابع النيل الا في العصر الماضي ، ومن هذه الينابيع يجري النهر الآخر العظيم الى الغرب ، وكان يعرفه العالم العربي الادريسي قبل أوربا بسبعمائة سنة .

وظهرت اليوم مسألة مهمة بالنسبة للعلم الحديث وهي اثبات ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات الجغرافية في خرائطنا العصرية للعالم المتمدن القديم . وذلك بأن ترسم خريطة تاريخية للعالم القديم على حسب ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات اي بتقدير المسافات وتعيين حدود الأراضي والسواحل والبحار والجبال والأنهار على غاية الاتقان . ويتأتى حينئذ لكل راغب أن يرى رأي العين اكمل خريطة تاريخية للعالم القديم على النحو الذي كان يعرفها العالم العربي في عصره .

ولبيان ان حل مثل هذه المسألة ممكن سهل ، آتي بشاهد من وطننا فنلاند في أقاصي الشمال البعيدة ، وان ضنت خريطة الادريسي الكريم بمعرفة شيء عن بلادنا . وذلك ان الأخوين المعروفين من بيت العلم الشهير: احدهما تال غرين — توليو والثاني آ . م . تال غرين قد تمكنا من تعيين مكان واهمية كل ما أتى به الادريسي في خريطته من المعلومات القليلة ، ورسماها في خريطة فنلاند العصرية بغاية الاتقان . ثم نشرت رسالة صغيرة ذات أربع وخمسين ومئة صفحة في البحث العلمي المهم باسم *Studia Orientalia III. Idrisi : La Finlande et les autres pays Baltiques orientaux* ولها لواحق عديدة ذات مكانة جديدة .

أما الأقطار التي كان يعرفها الادريسي معرفة جيدة فان أهل العلم الحديث اتوا فيها بخدمات علمية جليلة ونشروها وما زالوا ينشرونها ، وهي ، على ما نظن ، معلومة لديكم .

فنلندة كانغاس — آلا يوحنا آهتينن كارسيكو

الحوادث ان يكون ذيلاً على تاريخ الحافظ ابن كثير [١] فانه انتهى في ذيل تاريخه الى هذه السنة ومن حيث الوفيات ان يكون ذيلاً على وفيات تقي الدين بن رافع وانتهى فيه الى سنة ٨٥٠

واذكر اني رأيت مسودة المؤلف في المكتبة الظاهرية بدمشق وفيهـا تشطيب وحواش وتكاد لا تقرأ لرداءة خط المؤلف رحمه الله تعالى

ويوجد من هذا التاريخ نسختان في مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا في الآستانة الأولى في مجلدين رقمها ١٠٠٥ – ١٠٠٦ والثانية في مجلدين أيضاًرقمها١٠٠٧–١٠٠٨

ولا ريب ان الكتاب جدير بالطبع لأن به تتصل سلسلة الحوادث التي وقعت في هذه السنين ونقف على من توفي فيها بصورة متسلسلة ·

ولا ريب ان بالبحث يوجد منه نسخ غير التي ذكرناها وانا نرجو ممن يقف على نسخ منه ان يكتب لمجلة المجمع لعل ذلك يكون سبباً لنشر هذا السفر النفيس فتعم الاستفادة منه عشاق الأدب والتاريخ والعلم

حلب: محمد راغب الطباخ

«الاجابة ، لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة»

(تأليف الامام بدر الدين الزركشي)

عني بتحقيقه ، ووضع مقدمته ، وتعاليقه وفهارسه سعيد الأفغاني ·

طبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٥٨ ه سنة ١٩٣٩ م ·

أحسن الاستاذ الافغاني كل الإحسان باستخراجـه هذه الرسالة النفيسة من كنوز المكتبة الظاهرية ، واحيائها بالطبع والنشر ، فان ام المؤمنين عائشة (رض)

(١) هذا التاريخ طبع في مصر ومنه نسخة خطية في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب في عشر مجلدات وقد نقل منها بواسطتنا لناشره خمس مجلدات ويظهر أنه وجد بعد ذلك نسخة أخرى في مصر فاستغنى عن استنساخ الباقي

هي احدى المعجزات الخالدة في بيان مشكلات التفسير والحديث والفتاوى والأحكام . ومسندها في (ج ٦) من مسند احمد بن محمد بن حنبل يقع في (٢٥٣) صفحة . وعلى علمها وفهمها المعول فيما كان يقع فيه التنازع بين كبار الصحابة (رض) في النوازل والأحكام ، لا سيما في معرفة ما كان يفعله الرسول (ص) في بيته . و « الاجابة » توقف المطالع على سر عظمة هذه السيدة ، وعلو مكانتها ، وهي في الأصل مائة صفحة الا قليلا ؛ ولكن الاستاذ الناشر بما قدم لها ، وعلق عليها ، ووضع من فهارس في آخرها ، أبلغها الى (٢٣٠) صفحة بالقطع المتوسط .

وقد رتب الإمام الزركشي كتابه على مقدمة وثلاثة أبواب (الباب الأول) في ترجمة عائشة وفيه فصلان (١) في ذكر شيء من حالها و (٢) في خصائصها ومزاياها ، وقد عد منها (٤٢) واحدة (الباب الثاني) في استدراكاتها على أعلام الصحابة ، وفيه استدراكات على (٢٤) صحابياً وصحابية في مسائل كثيرة من التفسير والحديث والعبادات والمعاملات (الباب الثالث) في الاستدراكات العامة ، وفيه (١١) استدراكاً ، وفي ذيله أربعة أخر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما الاستاذ الأفغاني فقد صدّر الكتاب بمقدمة في نحو ثلاثين صفحة ، تضمنت وصف « الإجابة » وسعة علم عائشة ، وترجمة المؤلف ، وعدد تآليفه ، وشيئاً عنها ، ووصف النسخة الظاهرية الفريدة التي ظفر بها ، وما لقي في سبيل تصحيحها واخراجها ، وعرض نماذج منها مأخوذة بالتصوير الشمسي . وقد علق على هذا الكتاب تعليقات دلت على بذل جهد ، واستنفاد طاقة ووسع ، فقد راجع لأجله عشرات المظان من دواوين السنة وشروحها ، ومعاجم الحديث الخطية كمعجم الطبراني الكبير ، وكتب الرجال والطبقات ، فجاءت تعليقاته وافية بالقصد ، ثم ختم الكتاب بفهارس خمسة مفصلة (١) للأعلام (٢) للجماعات (٣) للأماكن (٤) للكتب (٥) للموضوعات وفي الصفحة الأخيرة تصحيح للأغلاط ، ونحن نشير الى الاغلاط القليلة التي لم ترها مصححة ، وقل أن يخلو من مثلها كتاب :

ص ٥ س ٧ : وعروة وابن الزبير ، والصواب : عروة بن الزبير وفي ص ٥ في التعليق : انظر مسند احمد ج ٦ ص ٩ : ليس في هذه الصفحة ما أشار اليه ، ولكن في غيرها ما يدل عليه .

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٠	٢٠	فما زلت ارجع إلا الأمهات	إلى الأمهات
٤٥	٦	وروي عيها	عنها
٦٩	١١	ابن ماجة	ابن ماجه ، بالهاء الساكنة وصلا ووقفاً ، فتراجع في فهرس الأعلام وتصحح ، والغلط من قلم الناسخ ، لا الناشر .
٧٢	١٣	ادخل البيت الذي دفن معها عمر	: دفن فيه معها عمر .
٧٣	١٣	اعلى الدلاء من اسفله	: من اسفلها
٧٤	١٨	فوق بعضها	: بعضها فوق بعض
١٠٩	١٠	عن وتر رسول	: رسول الله .
١٢٠	١٨	من مسند أبي داوود	: داود : بواو واحدة ، وتراجع في فهرس الأعلام للتصحيح

ARCHIVE
archivebeta.Sakhrit

ولما وصف الأستاذ الأفغاني مؤلفات الزركشي قال عن (لقطة العجلان) منها : وقد طبع في دمشق مؤخراً » (أي سنة ١٣٥٣ هـ سنة ١٩٣٤ م) والصواب أن هذا الكتاب — الباحث في أصول الفقه والحكمة والمنطق والتوحيد — قد طبع أولاً في مصر بمطبعة والدة عباس (سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٨ م بشرح الامام جمال الدين القاسمي ، ومن غرائب اتفاق القدر أنا قرأناه بشرح أستاذنا القاسمي عليه عام وفاته (سنة ١٣٣٢) فكان عمر المؤلف والشارح واحداً ، وهو تسعة واربعون عاماً ، رحمهما الله تعالى . وقد طبع شرح القاضي زكريا على لقطة العجلان ايضاً ، وطبع

شرح الزركشي على جمع الجوامع في (اصول الفقه) للسبكي بمصر سنة ١٣٣٢ هـ .

وبعد فقد وجه الاستاذ الأفغاني في مقدمته أنظار نساء العصر الى علم عائشة (رض) فقال في (ص ٦) : ولتعلم بعد هذا سيداتنا أن امرأة منهن في صدر الإسلام تتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار من كل حبر وعالم وفقيه وقارئ وراوية ، وعنها وحدها نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرك »

واقول : ان الفتيات في عصرنا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية ، ومنهن من نالت الشهادة العالية في العلوم أو الأدب او الحقوق أو الطب ، أو شهادة التخصص (الدكتوراه) بالفلسفة والتربية ، ولكنا لا نرى إزاء هذه الشهادات المدنية فتاة تحمل شهادة ابتدائية في الدين ، دع المتوسطة والعالية ! فان قيل : وأين تتخصص الفتاة الحاملة لشهادة (البكالوريا) أو الحقوق مثلاً في العلوم الدينية ؟ فالجواب من وجهين :

(١) يجب أن نطالب الحكومة بافتتاح فرع التخصص الديني الذي كانت اعتزمت انشاءه وجعله فرعاً للجامعة السورية ، ونفقاته قليلة ، وفوائده جزيلة .

(٢) ان الأزهر الشريف قد افتتح كليات التخصص الديني وجعلها لأبناء المسلمين عامة ، لا للمصريين خاصة ، فمن السهل على بناتنا من حاملات البكالوريا ، ولا سيما المجازات بالحقوق أن يصحبن بعض ذوي المحارم ، وينهلن من معين الشريعة الصافي ، ويَعدن رافعات ألوية الدين والعلم والإصلاح .

محمد بهجة البيطار

نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر

مطبعة الفنون المصورة [٨٦ ص القسم العربي مع الذيل والفهارس و٥٧ ص الترجمة الاسبانية بوسكا • العرائش (المغرب) ١٩٤٠

ما تزال نكبة الأندلس ونزوح العرب عنها النزوح المعروف أمره درساً ماثلاً في نفس كل عربي يثير فيها العبرة والدمعة معاً .

ولعل اغرب ما في هذا الدرس تلك الفوارق العظمى بين معاملة العرب للاسبان حين دخلوا بلادهم فاتحين ومعاملة الاسبان للعرب حين جلوا عنها نازحين .

وهذا كتاب لمؤلف مجهول حضر الوقائع الأخيرة بين العرب والإسبان وشاهد عن كثب ما صب على رؤوس المسلمين من البلاء من تقتيل وتعذيب ونهب اموال وسبي نساء وذراري ، واجلاء عن الاوطان ، واستباحة لحرمات المعابد والأديان ، ثم تفنن في استئصال البقية الباقية من شيوخ لا حول لهم على مشاق السفر وأطفال وأرامل أقعدهم الضعف [1] ، فكل يوم احالات بالمئات على محاكم التفتيش وكل يوم احراق وصلب وتعذيب في الساحات العامة حتى سئم الإسبان أنفسهم هذه المجازر البشرية التي راجت سوقها والتي أحرزت بها حكومة الإسبان حينئذ قصب السبق في الوحشية والقسوة والظلم .

واليك كلمة المؤلف نفسه عن موضوع كتابه وخطته فيه قال : « اما بعد فهذا كتاب اذكر فيه نبذة من بعض تواريخ ما وقع في مدة الأمير أبي الحسن علي بن نصر ... ابن الملوك النصريين ، ومدة ملك ابنه محمد وأخيه محمد أيضاً رحمهما الله ، وكيف استولى العدو على جميع بلاد الأندلس في تلك المدة . وعولت في ذلك على الاختصار وتركت التطويل والاكثار » [2]

---

(١) ص ٤٤ ، ٤٥ (٢) ص (١)

تجد في هذا الكتاب تفصيل حصار مدينة الحمة وموقعة لَوْشة وانتصار المسلمين وفرار ابني الأمير وتألب أهل وادي آش وغرناطة معها وموقعة بلّش وموقعة اللسانة واستيلاء النصارى على حصن قرطمة ودكوين والزندة وموقعة المكلين، واستيلاء النصارى على حصن قنبيل ولوشه والبيرة — وحصار مدينة مالقة والبسطة وحصن الشلوبانية ثم حصار غرناطة وتسليمها .

وفي خلال ذلك تشاهد من ضروب البطولة التي أبداها العرب على قلتهم ما ميزهم من جميع الأمم ولكن أمرهم كان الى إدبار . وأشد ما يفجعك هو خروج الخارجين على الأمراء وانقسام هؤلاء العرب القليلين بعضهم على بعض، واستعانتهم بعدوهم على قومهم واهل ملتهم حتى اذا انتهيت الى آخر الكتاب لم تملك دمعتك حين ترى آخر ملوك غرناطة يستعين بملك قشتالة على عمه وحين تشعر بخبث ملك قشتاله وروغانه وضربه أحدهما بالآخر حتى أضعف الأميرين معاً وذهبت القتلى من حزبيهما بالآلاف فكان ذلك اكبر العون في سقوط غرناطة آخر بلدة مسلمة في يد الإسبان .

وفي آخر الكتاب فصل قيم الفائدة في (نزوح مسلمي الأندلس الى المغرب) وبيان المواطن التي حلها أهل كل بلد من الأندلس في المغرب . وتحس في عدة مواضع من الكتاب أن مؤلفه كتبه وهو يتحرق من الألم والتفجع وتجزم حين تقرؤه أن قلبه يكاد يتفطر من لوعته وأن عبرته ما ترقأ، اسمعه وقد صور لنا غدر ملك قشتاله بعد ان عاهد المسلمين المستضعفين وسلم لهم بكل شروطهم كيف « اخذ في نقض الشروط شرطاً شرطاً وحلها فصلاً فصلاً الى أن نقض جميعها وزالت حرمة الإسلام عن المسلمين وأدركهم الهوان والذلة . . . ثم دعاهم الى التنصر واكرههم عليه فدخلوا في دينه كرها وصارت الاندلس كلها نصرانية ولم يبق من يقول فيها : (لا إله الا الله محمد رسول الله) جهراً . . وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن !

فكم فيها من عين باكية وقلب حزين وكم فيها من الضعفاء والمعدمين لم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين ! قلوبهم تشتعل ودموعهم تسيل سيلاً غزيراً مدراراً وينظرون اولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان ويأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر ... فيالها من فجعة ما أمرها ومصيبة ما اعظمها واضرها وطامة ما اكبرها ... وعم الكفر جميع القرى والبلدان وانطفأ من الاندلس نور الإسلام والايمان ، فعلى هذا فليبك الباكون ولينتحب المنتحبون فإنا لله وإنا اليه راجعون.[1]

***

نشر هذا الكتاب الأستاذ ألفريد البستاني من عدة مخطوطات وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه وهو من منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للابحاث العربية الاسبانية بطنجة (المغرب) وتقرأ في مقدمة الناشر كيف حصل على هذه المخطوطة التي اعتمدها والتي كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة .

هذا ولست أقر الناشر في حكمه على بيان المؤلف بقوله : « أما من حيث اللغة فالاضطراب ظاهر في جميع النواحي »[2] ففي هذا الحكم مبالغة شديدة لأن الهفوات اللغوية من استعماله ضمير العقلاء لغيرهم كقوله (وهدمهم [يعني الأبراج] ص ٣٤) وحذفه نون الأفعال الخمسة من غير أن تسبق بناصب او جازم كما سنشير اليه ، هذه الهفوات قليلة ولعلها من تحريف النساخ .

ومن الواجب علينا ان نعترف بأن الفهارس التي نشرها الاستاذ البستاني في آخر الكتاب قليلة الجدوى لأنها غير مرتبة على الحروف بل وضعت هكذا اعتباطاً على غير قاعدة واذا لم يراع في الفهارس ترتيب ما فما ندري ما وجه إثباتها . وهناك حاشية معادة (ص ٦ و٢٣) وخطأ في قراءة المخطوطة كما سيأتي .

وفي الكتاب أغلاط كثيرة كان على الناشر الفاضل أن يعرضه على أخبر منه في العربية ليتداركها له ونحن مشيرون الى اهمها :

(١) ص ٦٦ ، ٦٥ (٢) ص ١٩

فمنها ما يعود الى الرسم كهذه الكلمات :

تحيي وصوابها تحيا — دعى وصوابها دعا — الاستأذان وصوابها الاستئذان فتنفقنا وصوابها فاتفقنا مؤريخي : مؤرخي — ١ المبدي : المبدئ — المنشي : المنشئ ٢ علي ابن سعد : علي بن سعد — ٦ عن من : عمن — ٣٥ أولائك : أولئك ٤٤ سبي نسائهم : سبي نساءهم — ٥٩ بنوا عبيد : بنو عبيد ٢ بنوا منديل : بنو منديل

ومنها ما يعود الى ضعف في عربية الناشر وخطئه في قراءة المخطوطة وعدم اهتدائه الى تحريف النساخ والإشارة الى الصواب فيه :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
٢ حدوث	حروب	٢٩ مداقاً	مدافعاً
٥ انبثها	انبتها	٣٦ فارتحل	ارتحل
الاتنفاض	الانتفاض	٤٠ المسلمون	المسلمين
٧ بأمرائهم	بأمرائهم	٤٤ والمعدومين	والمعدمين
بل والدنو	بل الدنو	٤٦ زمامتهم	ذمامتهم
٨ يعلموهم	يعلمونهم	٤٧ ان يعينونه	أن يعينوه
٢٤ نفذ	نفد	٤٧ ثلاثة سنين	ثلاث سنين
٢٦ وُقتل منه خلقاً	وقتل معه خلق	٧٧ ليعاقبونهم	ليعاقبوهم

وهناك نقص وابهام في بعض الجمل فقوله ص ٨ (نعمل الحيلة في الدخول عليهم والتقصير والتفريط .) فيه نقص لم ينتبه اليه الناشر وقوله ص ٢٧ (ولم يتركوا شيئاً الا سقف المدينة خاصة) و ص ٤١ (اضمروا عليه الا عفوهم من حينهم) مما لا يفهم ففي الجملتين تشويه كان على الناشر أن يجتهد في ازالته ليتضح معنى المؤلف. وهذه المآخذ كثيرة في هذه الرسالة الصغيرة التي لا تتجاوز ٤٨ صفحة .

وهذا بعض ما رأينا في مقدمته هو من اغلاط عدا التي مرت في أغلاط الرسم بالرقم الفرنجي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطأ	صواب	خطأ	صواب
3 فهابهم جلال المكان	فهابوا جلال المكان	الأمتين التي	13 الامتين اللتين
8 الخضيل	الخضل	عدا عن الأغلاط	17 عدا الأغلاط
11 سوريا	سورية	لوحده العصمة	19 له وحده العصمة
12 يغيرون	يغارون		

وقوله ص 11 : (بينا كان العراق يتفرس وسوريا تترك ومصر تتطور بتأثيرهم وتتأثر بتطورهم) غير صحيح ولو قال كاد بدل كان لكان لذلك وجه .

ولا تخلو لغته من ركاكة كتتابع الإضافات في قوله ص 7 « من تاريخ مراحل آخر ايام مجدك » وكقوله ص 11 : « بدرجات سلم المقاييس الأدبية المرهونة بحرارة مزاج أعصاب الفاتحين »

ومع أملنا الوطيد في أن الاستاذ البستاني سيأخذ نصيحتنا المخلصة أخذ الغيور على لغته ليس يسعنا الا أن نثني على عاطفته العربية الحارة التي أشعرنا بها في أول الكتاب وان نتمنى على الله أن يوفقه في نشر تحفنا الضائعة وأن نعود فنشكره في هذه المجلة ثانية وثالثة ان شاء الله [1]

سعيد الافغاني

---

(١) في آخر القسم العربي من الكتاب رسالة بعث بها عبد الله محمد بن نصير سلطان غرناطة إلى الدون خوان الثاني سلطان قشتاله وليون بتاريخ ٥ من ذي القعدة عام ٨٦٦ هـ مع صورتها الفتوغرافية وهي بأسلوب غريب .

تاريخ حمص – القسم الأول – للخوري عيسى اسعد

عدد صفحاته ٢٦٧ ويحتوي على ٣٦ صورة ، طبع في حمص عام ١٩٣٩

شاء المؤلف ان يضيف الى سلسلة تاريخ سورية حلقة جديدة جمع فيها أخبار حمص منذ نشأتها الأولى حتى الفتح الاسلامي ، ومن يطالع هذا الكتاب يدرك الجهود التي بذلها المؤلف حتى جمع أخبارها ووفق لاستنتاج حوادثها لا سيما في اقدم عصورها . يستدل من عنوان الكتاب بأن المؤلف قد اقتصر على تاريخ حمص والحقيقة قد تعداه الى بعض أخبار الديار الشامية ومن بسط سلطانه عليها من الأمم المجاورة وذلك تعميماً للفائدة وتنويراً للحقيقة .

يتجلى في ابحاث هذا الكتاب عطف المؤلف على مدينته حمص وعصبيته لها فأحب أن يبر بها ويجعل لها تاريخاً عريقاً بالقدم يتفق مع ما يرغبه لها من المكانة التاريخية فقدمها على سواها من امهات المدن مثل قدش وقطنا وتونانات وغيرها من البلدان التي رددتها الوثائق التاريخية وقد اختار لها اسم (صوبا) الوارد ذكرها بالتوراة مع ان هذا اسم مقاطعة لا اسم بلدة واليها نسبت (حماة صوبا) و (ارام صوبا) كما نقول اليوم دمشق الشام وطرابلس الشام . واما استدلاله عن نشأتها الأولى بموقعها الجغرافي وازدهارها الزراعي فحجته فيه ضعيفة . وكل ما يمكن قوله اليوم – ان سلمنا بقدم حمص – انها كانت قرية نكرة لا حول لها ولا قوة والا لما اغفل اسمها واغمط حقها في العصور المتقدمة . وما نعلمه ان حمص بدأت شهرتها في العهد السلوقي حينما ازدهرت في ظل اسرة سميسغرام العربية فتبوأت حينئذ مكانتها في تاريخ سورية .

جعفر الحسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انساب الأشراف للبلاذري

أخذت الجامعة العربية في القدس تنشر كتاب انساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان المتوفى سنة٢٧٩ وذلك عن النسخة الوحيدة المحفوظة في احدى دور كتب الاستانة . « وانساب الأشراف هذا يشتمل على تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم الى القرن العباسي الأول ولكنه لم يرتب على سني الهجرة بل اتبع ترتيبه أنساب قبائل العرب . فاذا عرض ذكر رجل نابه في قومه أتى بخبره ونكته المستجادة وما قيل فيه من الشعر او بطائفة من شعره ان كان شاعراً واذا جاء ذكر خليفة من الخلفاء لم يقتصر على وصف سيرته بل أحيط بحوادث وقته » .

وقد تولى تصحيح الجزء الرابع من الكتاب الاستاذ غويتاين فجاء الأصل في ٣٧٩ صفحة عدا الفهارس والتعاليق التي جعلت بالعربية والعبرية والانكليزية وتولى تصحيح القسم الثاني من الجزء الرابع الاستاذ شلوسنجر فجاء في ١٧٠ صفحة عدا الفهارس والتعاليق وهي أيضاً بالعربية والعبرية والانكليزية . وقد بذل الناشران عناية فائقة في تصحيح المتن فاستحقا ثناء العلماء على عملها المشكور واستحقت الجامعة الشكر الجزيل على احيائها هذا الكتاب الأم من كتب التاريخ بهذا الاتقان بالطبع والوضع .

وقد وقعت للأستاذين الناشرين بعض هنات نرى أن نلفت نظرهما الى بعضها ومنها في الجزء الخامس صفحة ٩٧ خ مُزِجَت أماناتهم — ص مَرَجَت أماناتهم ص ١٧٤ . اهل المعادن — اهل المعاون ٢٠٦ : وذربة الرماح — ودربة الرماح . وأشياء من هذا القبيل واكثرها مما يغتفر . اما في القسم الثاني من الجزء الرابع فقد وقع فيه هنات في الاملاء والرسم قليلة وأشياء مثل ص ٨٦ : آكولا : أكولا .

١٢١ : ونادبتم أهل بلدكم — ناوأتم ١٣٦٠ : سخيًا لسينًا — لسنًا ص ٣ بالقسر قذونة : بالخذقدونة ويقال خلقدونة وهو الثغر الذي منه المصيصة وطرسوس واذنة وعين زربة ويقال لها الغذقدونة أيضًا كما في معجم البلدان لياقوت

وهذان البيتان اللذان نسبا زورًا لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية وفيهما ورد اسم الخذقدونة مما وضعه عليه المنحرفون عن بني أمية : والبيتان

وما أبالي بما لاقت جموعهم   بالخذقدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط مرتفقًا   بدير مران عندي ام كلثوم

وقد وردا في البلاذري مقلوبين اي الأول ثانيًا والثاني أولًا

وكذلك يقال فيما أورده له البلاذري في الصفحة الأولى من أبيات ادعى الراوون أن يزيد قالها لامرأته أم خالد ما إخالها تصدر عن أعظم الخلفاء فكيف عن خليفة أعداؤه أكثر من أوليائه والعهد بالدين قريب والصحابة والتابعون بالمرصاد يرجعون الى الدين كل من ضل عن الجادة ، وقد وقعت للبلاذري أشياء نقلها عن رواة غير ثقات يقصد بها التهريج وارضاء بني العباس وبني علي ولو صح واحد من عشرة مما اتهم به يزيد بن معاوية لسارع أهله قبل كل الناس الى قتله . والبلاذري منحرف عن بني أمية مثل الواقدي وأبي مخنف سامحهم الله .

محمد كرد علي

ليالي الملاح التائه

للاستاذ علي محمود طه : شركة فن الطباعة بمصر ، صفحاته ١٤٩

ديوان شعر لطيف الحجم صقيل الورق وجميل الطبع والتصوير، يدلّ على تقدم فن الطباعة بمصر وهو يشتمل على سبع وعشرين قصيدة، قوية الشعور، محلقة الخيال مع سبك عربيّ الاساوب ونزعة الى التفنن والتجديد

عبقر

للاستاذ شفيق المعلوف، صفحاته ١١٢

ويدل هذا الديوان أيضاً على تقدم فن الطباعة العربية تقدماً لا تحسد معه الطباعة الغربية على أبداعها، وشعر الاستاذ شفيق رقيق التعبير، يشبه الموشحات بافنانه، وتزينه صور فنية للمصور الايطالي فرنكو شيلي، فالديوان على ذلك من طرف الفن بتعبيره وتصويره

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وانباء

دار الكتب الوطنية في حلب

حدث خلال توقف مجلة المجمع العلمي العربي عن الصدور ، حادث يرتاح لذكره جمهرة المثقفين في الديار الشامية . وهو انه ما كاد الامير مصطفى الشهابي أحد اعضاء مجمعنا يتقلد في اوائل السنة ١٩٣٧ منصب محافظ مقاطعة حلب ، حتى جعل في مقدمة اعماله تشييد بناء عظيم يتخذ داراً للكتب وغرفاً للمطالعة وردهة للمحاضرات . ومن المعروف ان مدينة الشهباء كانت حتى ذلك اليوم خالية من بناء يحاكي المدرسة العادلية او الظاهرية او مدرج الجامعة السورية في دمشق ، وان فرع المجمع العلمي في حلب لم يكن له بناء للاجتماع والمحاضرة وحفظ الكتب والمطالعة .

وعندما راجع الأمير الشهابي مجلس الوزراء في هذا الصدد ، وجد أن تدارك المال من ميزانية الدولة ، لتشييد البناء المذكور ، يكاد يكون من مستحيلات الأمور . فعمد عندئذ الى خطة لا ينازعه في تنفيذها منازع . وهي انه لما كانت بلدية مدينة حلب وبلديات الأقضية والنواحي في تلك المقاطعة تابعة جميعاً للمحافظ ، أصدر قراراً بأن تخصص كل بلدية تابعة لمحافظة حلب عُشر وارداتها لتنفق على إقامة دار الكتب في مدة سنتين . وقد أصاب بلدية مدينة الشهباء نصف النفقات . وكان النصف الثاني من نصيب بلديات الأقضية والنواحي . وهكذا أمكن جمع خمسين الف ليرة سورية (بسعر تلك الأيام) وهو المبلغ الذي اجمع المهندسون على انه كاف لاقامة البناء .

وبعد ان سهل المال وجب الحصول على أرض تصلح للغرض المطلوب . وهنا تذكر الامير الشهابي انه عندما كان مديراً لأملاك الدولة السورية خصص لمديرية البريد والبرق العامة أرضاً واسعة ثمينة تقع في اهم بقعة من المدينة اي في ساحة

باب الفرج ، لكي تبني المديرية المذكورة عليها بناء لدائرة البريد والبرق في حلب . وتذكر انه مرّ على هذا التخصيص بضع سنوات دون ان يشاد البناء المطلوب على تلك الأرض ، وانه ربما مرت سنوات عديدة أخرى والأرض باقية على حالها . ولذلك سعى في مجلس الوزراء حتى ابطل ذلك التخصيص وحوله على اسم وزارة المعارف لتبنى دار الكتب الوطنية على الارض المذكورة .

فأصبح هذا المشروع المفيد مشتركاً بين بلديات محافظة حلب صاحبة المال المنفق على البناء ، ووزارة المعارف (او المجمع العلمي) التي تتصرف بأرض البناء العائدة لبيت المال .

ولهذا عقد الأمير بين الفريقين اتفاقاً يقضي بأنه عند ما يتم البناء يسجل في السجلات العقارية على اسم بلديات محافظة حلب ، ويخصص لفرع المجمع العلمي في مدينة الشهباء ، فينتقل اليه خزانة كتبه ، ويشرف على شؤونه ، ويمارس أعماله فيه كما هي الحال في العادلية والظاهرية بدمشق .

وبعد ان مهد صاحب المشروع جميع العقبات ، حمل دائرة الاشغال العامة في حلب على مباشرة هذا العمل الجليل ترجيحاً على سائر اعمال تلك الدائرة . وقضى سنتين وبضعة أشهر وهو يشرف شخصياً على صنع الخرائط والتصميمات وعلى أعمال البناء . ولم يغادر منصبه في السنة ١٩٣٩ حتى كان البناء قد تم ، ولم يبق سوى الأعمال التكميلية فأكملت بعدئذ على حسب الخرائط والخطط المقررة .

وعلى هذا اصبحت الشهباء تشتمل اليوم في أجل مواقعها على بناء عربي فخم شيد باحجار كبيرة لا يقل طول واحدها عن ٤٥ سنتيمتراً . وكثير من هذه الأحجار حمر رخامية من التي تسمى « سماقية » في حلب و « مزية » في دمشق . ويقول العارفون ان دار الكتب الوطنية في حلب هي اليوم أجمل المصانع الحديثة في مدينة الشهباء بلا مراء .

وقد جعلت الطبقة الأرضية من البناء مدرجاً للمحاضرات يتسع لخمسمائة مستمع ، كما جعلت الطبقة العليا غرفاً تتسع لأربعين الف مجلد ولمائة مطالع ، عدا غرف الإدارة .

ذكرى المولد النبوي

يحتفل المسلمون كل عام بذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام احتفالاً رائعاً ، وأي ذكرى أحق من هذه العناية وليست هذه العناية بالمولد قديمة .

ولم يرو عن الصحابة والتابعين ، وأول ما نقل الينا أن الخيزران والدة هارون الرشيد اصلحت البيت الذي ولد فيه رسول الله . أما الاحتفال بذكرى المولد نفسها فلم يظهر الا في عصر الفاطميين الذين عدوا يوم الذكرى عيداً لدولتهم تقام فيه الزينة وتلقى الخطب والمواعظ .

ولم يجعل أهل السنة لهذا اليوم شأناً خاصاً الا منذ عام أربع وستمائة فقد بالغوا في هذا العام لأول مرة بالاحتفال بهذا اليوم وزينت إربل عاصمة الملك مظفر الدين كوكبري صهر صلاح الدين يوسف بن أيوب واتقدت الأنوار الساطعة ، وقرعت الطبول والموسيقى وأنشد المنشدون وظهر الملك المظفر صباح يوم الذكرى على برج مشيد من خشب وانتصب واعظ على منبر بجانبه يعظ الناس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وطفق المسلمون من اهل السنة من ذلك اليوم يتخذون يوم المولد عيداً دينياً شعبياً . ولما ظهر الاحتفال بهذا المظهر ، أجمع الفقهاء على القول بأن الاحتفال وان كان بدعة فانما هو بدعة حسنة لاتصاله بشخصية الرسول المعظم . ثم ما عتم أن مرت الى يوم الذكرى ضروب من المراسم أثارت ثائر بعض الائمة كابن تيمية في المتقدمين والامام محمد عبده في المتأخرين فشنوا الغارة على صورة الاحتفال ووجدوا في الأناشيد التي ترتل نزعة من النزعات الصوفية لا يقرها الإسلام الصحيح ووجدوا في النصوص التي تقرأ عن مولد الرسول ابتعاداً عما يجب أن يقال من سيرته الشريفة مما ورد في الأثر واسفرت حملتهم عن توجيه علماء المسلمين الى الاحتفال بالذكرى وجهة حسنة لا تخرج عن هدى الدين وذلك بقراءة شيء من السيرة النبوية المنقولة في الكتب الموثوق بها وبالقاء الخطب يذكر فيها شأن الإسلام وأثر الدعوة المحمدية ويحض الناس فيها على التحلي بالأخلاق النبوية . وكان الاحتفال بهذا يوماً يبعث في نفوس المسلمين بهجة بعيد يذكرون فيه المثل العليا التي حض عليها رسول الله . وحسنت ذكرى مولد رسول الهدى .